

المبهمات فى سورة الكهف

(دراسة تحليلية)

د. خزامى محمد سلامة العيسى^(*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن القرآن الكريم لم يزل على مرور الأيام يمد العقول ببكر من آياته ومعجزاته، وما زال أرباب العلوم والمعارف يجدون فيه البراهين الجلية الناطقة بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كلام البشر.

فقد أجمع أهل العلم على أن القرآن الكريم معجز بذاته لفظاً ومعنى، أما اللفظ فهو ما يتعلق من بين أوجه الإعجاز بالناحية البلاغية ابتداءً، وأما المعنى فلما تضمنه القرآن من أوجه إعجاز أخرى ترجع إلى ذاته من حيث معاني ألفاظه، ومن هذا المنطلق كان الوجه البلاغى هو أعم، أوجه إعجاز القرآن الكريم وأشملها، وأكملها.

ومما أعجب البلغاء فى منهاج كلامهم ما وجدوه راسخاً فى كلام العرب، وتفرّد به لسانهم من الاختصار فى الكلام، وهو تأدية المعاني الكثيرة بالقليل من الألفاظ، فالبلغة عند العرب هي الإيجاز، قال ابن جني: "واعلم أن العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد. ألا ترى أنها فى حال إطالتها وتكريرها مؤذنة باستكراه تلك الحال وملالها، ودالة على أنها إنما تجشمتها لما عناها هناك وأهمها، فجعلوا ما فى ذلك

(*) قسم الدراسات الإسلامية ، بكلية الآداب - جامعة الملك فيصل بالأحساء - المملكة العربية السعودية.

على العلم بقوة الكلفة فيه، دليلاً على إحكام الأمر فيما هم عليه^(١)، فخير الكلام على منا نقل عن أهل اللسان ما قل ودل ولم يمل^(٢).

والقرآن الكريم وهو كتاب العربية الأكبر، يسلك في نظمه فنون البلاغة العربية، والتي على رأسها فن الإيجاز الذي هو صفة القرآن الكريم العامة، ومحور إعجازه.

والإيجاز كما هو مقرر له مجالاته وطرقه في القرآن الكريم، وأسلوب الإيهام من طرق الإيجاز القرآنية التي لها محل رفيع، وشأن عظيم يدركها من يتلو هذا الكتاب، أو يسمعه، أو يدارسه، وأظهر ما يكون الإيهام في القرآن الكريم في قصصه، وما يجري في مشاهدتها وأحداثها، ولعل السبب في كثرة أسلوب الإيهام في هذا الموطن دعت إليها طبيعة القرآن الكريم من كونه كتاب هداية وإعجاز، وليس كتاب تاريخ وتراجم، قال ابن كثير رحمه الله: "ولم يخبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف، ولا في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً.. والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه.. فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه"^(٣).

وقال رحمه الله أيضاً بعد أن عرض لبعض الأقوال عن كلب أصحاب الكهف ولونه: "واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها،

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ١، ص ٨٣.

(٢) الشعالبي، أبو منصور، الإعجاز والإيجاز، شرحه وطبعه اسكندر آصاف، المطبعة العمومية، مصر، ط ١، ١٨٦٧م، ص ٩٨.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي. تفسير القرآن العظيم، أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية، وعلى نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، تحقيق مصطفى السيد أحمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ج: ٩، ص ١١٤ - ١١٣.

ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه؛ فإن مستندهما رجم بالغيب^(١)، وقال رحمه الله: "وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبرا طويلا أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب ومما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه، وأما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون: هو بأرض أيلة، وقيل بأرض نينوى، وقيل بالبنقاء، وقيل ببلاد الروم، وهو أشبه، والله أعلم، ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خيرهم، والأهم من أمرهم، ووصف حالهم حتى كأن السامع راء، والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف، وتقلبهم من جنب إلى جنب، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد^(٢)"

وقد أحسن الحافظ ابن كثير في تقريره لهذا الأصل وهو محاولة المفسرين لتعيين ما أبهمه الله تعالى من عدد أصحاب الكهف وأسمائهم، ومكان كهفهم، وما يتعلق بكلبهم، إذ في صحة هذه المرويات نظر والله أعلم، فإن غالبها مأخوذ من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ﴾^(٣) أي: سهلا هينا فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة.

ولما كانت ظاهرة الإبهام في القصص القرآني من الظواهر الأسلوبية القرآنية التي اتخذها المغرض مطعنا على القرآن الكريم، من جهة دعواه التناقض بين أسلوب الإبهام والبيان الذي جاء القرآن الكريم ليلبغ به درجته العلية أولا، وثانيا من جهة تسلل الدخيل من أسلوب الإبهام إلى كتب التفسير، وقد تورط به جمع من المفسرين، وحذر من هذا المسلك آخرون، قال الأستاذ سيد قطب: "تجيء قصة أصحاب الكهف،

(١) تفسير القرآن العظيم، ج: ٩، ص ١١٧. انظر قطب، سيد إبراهيم. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ٢٠٠٤م، ج: ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج: ٢، ص ٥٦٧ - ٥٦٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

فتعرض نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرضى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقبها الفتنة، ويشملها بالرحمة، وفي القصة روايات شتى، وأقوال كثيرة فقد وردت في بعض الكتب القديمة، وفي الأساطير بصور شتى، ونحن نقف فيها عند ما جاء في القرآن فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا سند صحيح، وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجماً بالغيب^(١).

وتأكيد على هذا الأصل الأصيل، وهو الوقوف مع القصص القرآني في حدود بيان القرآن المعجز، والتحذير من تجاوز ذلك إلى الروايات المتهافئة والمتكاذبة، يقول الشنقيطي رحمه الله: "واعلم أن قصة أصحاب الكهف، وأسمائهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها"^(٢).

لذلك رأيت لزاماً علي أن أتناول هذه الظاهرة الأسلوبية في سورة الكهف التي بنيت على الطابع القصصي، حيث ذكر الله تعالى فيها خمس قصص، وهذه القصص هي:

الأولى: قصة أصحاب الكهف.

الثانية: قصة أصحاب الجنتين.

الثالثة: قصة آدم وإبليس.

(١) في ظلال القرآن، ج: ٤، ص ٢٢٦١.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٤، ص ٢٧.

الرابعة: قصة موسى مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام.

الخامسة: قصة ذي القرنين.

لأبين الأسرار البيانية التي أوما إليها أسلوب الإبهام العبقري بعيدا عن شطحات المنحرفين، وأوهام القصاصيين، وإسرائيليات الكتابين التي سيقّت كلها لمحاولة ملء الفراغات التي كثرت في قصص الأمم الغابرة في القرآن الكريم، ومرشحا لتمييز صورة الخطاب الأدبي على غيره من أنواع الخطاب الأخرى العلمي، والفلسفي، والعددي، ليكون الطابع للمعجزة الخالدة بالسمات الفنية الآتية:

الأولى: أن اللون الأدبي هو الفن الذي برع به العرب وقت نزول القرآن الكريم أيما براعة، حتى صاروا فيه فرسان البيان، وسادة المقال، فلا عجب من مجيء القرآن الكريم على سنن العرب في كلامها.

الثانية: قدرة هذا اللون من الخطاب، وهو الخطاب الأدبي على التأثير في أذواق جميع المخاطبين، والرقى بهم في سلم المعارف والأهداف المنشودة.

الثالثة: أن الخطاب الأدبي هو أقرب أنواع الخطاب في مضمار التربية المتكاملة، والتعليم المستمر، والنهضة المستدامة؛ حيث إنه يرقى بالقوى النفسية لمستوى النضج وتعديل السلوك من خلال أساليبه النوعية المختلفة؛ مثل الأسلوب القصصي، وأسلوب المحاور، وأسلوب ضرب المثل.. وغيرها من الأساليب التي تعزز الحس الأدبي، والذوق الجمالي في النفس الإنسانية، فتحمل هذه الأساليب العديدة في ثناياها الخطاب الراقى المشحون بالمتعة والفائدة المقصودة، بعيداً عن أساليب الجدل الجاف الذي لا تطيقه النفوس إلا بمزيد الكلفة والمشقة. قال الكفوي رحمه الله تعالى: "ومن جملة فوائد الحذف التخييم والإعظام لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن فيه كل مذهب، فرجع قاصرا عن إدراكه فيفيد ذلك تعظيم شأنه، ويزيد في

النفس مكانة وزيادة لذة استنباط الذهن المحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتئاذ به أشد وزيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك^(١).

الرابعة: أن الخطاب الأدبي هو أدوم تأثيراً وخلوداً من أساليب الخطاب الأخرى الجدلي، العلمي، الفلسفي، فلا يؤثر تغير الزمان، ولا اختلاف المكان على براعة هذا الأسلوب الأخاذ؛ إنه يمد الثقافة الإنسانية بالمتعة، والجمال، والفائدة والحيوية في آن واحد، إنه أسلوب يحظى بالجاذبية الثابتة التي لا يخفتها تقادم الزمان، ولا تنوع المكان.

الخامسة: أن الخطاب الأدبي يتسم بقدرته على إيصال المحتوى الفكري إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها؛ ليسر أداته وهي اللغة، التي لا تكلف المشقة البالغة، قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: "ومن هذا الباب أيضاً قصص الأولين وحكايات الأقدمين وأن الملوك الذين استولوا على الأرض وخرّبوا البلاد وقهروا العباد ماتوا ولم يبق منهم في الدنيا خبر ولا أثر، ثم بقي الوزر والعقاب عليهم، هذا ضبط أنواع هذه الدلائل، والكتاب المحتوي على شرح هذه الدلائل هو شرح جملة العالم الأعلى والعالم الأسفل، والعقل البشري لا يفي بالإحاطة به فلهذا السبب ذكره الله تعالى على سبيل الإيهام"^(٢).

فعمدت إلى دراسة المبهمات في سورة الكهف، من خلال تفسيرها، ودواعيها، وأغراضها، ومما دفعني للكتابة في هذا البحث أن المكتبة الإسلامية في حدود اطلاعي قد خلت من بحث قرآني يتناول المبهمات في سورة كاملة على جهة الاستقلال.

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق د عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص: ٣٨٣.

(٢) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ج: ١٨، ص ٢٢٨.

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد قسمته إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وغايته وخطته

المبحث الأول: المبهمات مفهومها ومكانتها وأسبابها في ضوء القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم المبهمات في ضوء القرآن الكريم

المطلب الثاني: مكانة المبهمات في ضوء القرآن الكريم

المطلب الثالث: أسباب المبهمات في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لأغراض المبهمات في سورة الكهف

المطلب الأول: وقفات مع سورة الكهف

المطلب الثاني: المبهمات في قصة أصحاب الكهف والتعقيب عليها

المطلب الثالث: المبهمات في قصة أصحاب الجننتين

المطلب الرابع: المبهمات في قصة آدم وإبليس

المطلب الخامس: المبهمات في قصة موسى مع العبد الصالح عليهما الصلاة

والسلام

المطلب السادس: المبهمات في قصة ذي القرنين

وضمنت الخاتمة أهم نتائج البحث، ثم أتبعته بقائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول

المبهمات مفهومها ومكانتها

وأسبابها في ضوء القرآن الكريم

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المبهمات في ضوء القرآن الكريم

أولاً: المبهمات لغة

المبهمات في اللغة اسم مفعول مشتقة من الإبهام، والإبهام هو الخفاء والغموض الذي سببه عدم معرفة الشيء، ومنه ليل بهيم لخفاء ما فيه عن الرؤية، لأنه لا ضوء فيه إلى الصباح، والطريق المبهم إذا كان خفياً لا يستبين، قال الراغب رحمه الله: "وقيل لكل ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً مبهم، ويقال: أبهمت كذا فاستبهم، وأبهمت الباب أغلقته إغلاقاً لا يهتدى لفتحه، والبهيمة ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرَّمٌ إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(١)، وليل بهيم فعيل بمعنى مفعول قد أبهم أمره للظلمة، أو في معنى مفعول لأنه يبهيم ما يعن فيه فلا يدرك، وفرس بهيم إذا كان على لون واحد لا يكاد تميزه العين غاية التمييز"^(٢)

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، كتاب الباء، ص ٨١. الفيروزآبادي، أبو الحسين أحمد بن زكريّا، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر (بصيرة في كون وكين)، ج: ٤، ص: ٣٩٥.

وقال ابن فارس رحمه الله: "(بهم) الباء والهاء والميم: أن يبقى الشيء لا يُعَرَفُ المأْتى إليه. يقال: هذا أمرٌ مُبْهِمٌ، ومنه البُهْمَةُ: الصخرة التي لا خَرَقَ فيها، وبها شُبِّهَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ الذي لا يَقْدَرُ عليه من أيِّ ناحيةٍ طُلِبَ، وقال قوم: البُهْمَةُ جماعةُ الفُرسان" (١).

فالأمر المبهم الخفي المشكل (٢)

ثانياً: المبهمات اصطلاحاً

إذا كان المبهم ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً، و على الفهم إن كان معقولاً، و من الأشياء الخالص الذي لا شية فيه تميزه، و من الأجسام المصمت، فالمبهم اصطلاحاً من الكلام هو الغامض الذي لا يتحدد المقصود منه، والمبهم في اصطلاح الأصوليين هو الذي لا يعقل معناه، ولا يدرك مقصود اللفظ ومبتغاه من قولهم: أبهمت البئر إذا سدته وردمته ومنه سمى الكمي البهمة وهو المقنع المبرقع الذي لا يدري من هو (٣).

فالمبهم في القرآن الكريم هو كل لفظ ورد في القرآن الكريم من ذكر من لم يسمه الله فيه باسمه العلم، من نبي، أو ولي، أو غيرها، من آدمي، أو ملك، أو جني، أو بلد، أو كوكب، أو شجر، أو حيوان له اسم علم، أو عدد لم يحدد، أو زمن لم يبين، أو مكان لم يعرف (٤).

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريّا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، مادة (بهم)، ج: ١، ص: ٣١١.

(٢) للمجمع اللغوي، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات إحياء التراث، مكتب الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، مادة (بهم)، ص ٧٤.

(٣) الجويني، أبو المعالي إمام الحرمين عبد الملك عبد الله، البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب، طبع على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ط ١، ١٣٩٩هـ، ص: ٤١٩.

(٤) السهيلي، أبو زيد وأبو القاسم عبدالرحمن بن عبد الله الأندلسي المالقي، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، باعتناء الشيخ محمود ربيع، طبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٥٦هـ، ص: ٨.

وقد عده الإمام الزركشي رحمه الله من شعب المجلد فقال: "مَبَاحِثُ الْمُجْمَلِ الْمُجْمَلُ لُغَةً: الْمُبْهَمُ، مِنْ أَجْمَلَ الْأَمْرِ أَيْ أَبْهَمَ، وَقِيلَ: الْمَجْمُوعُ؛ مِنْ أَجْمَلَ الْحِسَابِ إِذَا جُمِعَ، وَجُعِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَاصْطِلَاحًا: قَالَ الْأَمْدِيُّ: مَا لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى أَحَدٍ مَعْنَيْنِ لَا مَرِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: مَا لَمْ تَتَضَحَّ دَلَالَتُهُ، وَقَالَ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، وَابْنُ فُورَكٍ: مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فِي الْمُرَادِ مِنْهُ، حَتَّى يَبَيَّنَ تَفْسِيرُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(١)»^(٢).

ومن أكثر الألفاظ إفادة للإيهام الأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والمعرفات باللام المضافات على المعارف إضافة حقيقية مع القيد المذكور في علم النحو^(٣).

المطلب الثاني: مكانة المبهمات في ضوء القرآن الكريم

فإن من علوم القرآن التي يجب الاعتناء بها معرفة مبهمات، ومن أوضح الأدلة على اعتناء السلف الصالح بهذا العلم ونفاسته عندهم وهو أصل في إثبات علم المبهمات كذلك، ما أخرج البخاري عن ابن العباس رضي الله تعالى عنهما قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ^(٤). وقال السهيلي: هذا دليل على شرف هذا العلم، وأن الاعتناء به حسن، ومعرفة فضل.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط، قام بتحريره عبد القادر عبد الله العائني، وراجعته د. عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ج: ٣، ص ٤٥٤.

(٣) السكاكي، أبو يعقوب الحسين بن محمد، مفتاح العلوم، ج: ١، ص ٧٨. موقع الوراق:

<http://www.alwarraq.com>

(٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، قام بشرحه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعته قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ، كتاب التفسير، باب قول الله تَعَالَى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ سورة التحريم، الآية: ١، رقم الحديث ٤٩١٣، ج: ٣، ص ٣١٣.

ومرجع هذا العلم النقل المحض، فلا مجال للرأي فيه، وإنما يرجع القول فيه إلى قول النبي ﷺ، ولعل هذا ما حمل الإمام الزركشي على قوله: "لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستنثاره بعلمه كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١)، والعجب ممن تجرأ وقال: إنهم قريظة، أو من الجن"^(٢)

والذي يراه الباحث أن لا عجب ولا جراءة في القول بأن المبهم في الآية الكريمة هو المعين بكونهم من قريظة أو من الجن، على ما قرره الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى حيث يقول: "ليس في الآية أن جنسهم لا يعلم، وإنما المنفي علم أعيانهم، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة، أو من الجن، وهو نظير قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾"^(٣)

ثم القول في أولئك أنهم من الجن ورد في خبر مرفوع إلى رسول الله ﷺ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره، فلا جراءة"^(٤).

ومما يجلي مكانة المبهومات في ضوء القرآن الكريم كثرت المجملات في القرآن الكريم بسبب الإبهام، الواقع بسبب اسم الجنس جمعا كان، أو مفردا، أو اسم جمع، أو صلة موصول، أو معنى حرف جر.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ١، ص: ١٥٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، الأمانة العامة للشؤون العلمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر ج: ٤، ص: ٢٠٢١ - ٢٠٢٠.

فمثال الإبهام في اسم الجنس المجموع قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، فقد أبهم الكلمات هنا، وعينهما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، ومن الشواهد على الإبهام في اسم جنس مفرد قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٣) فقد أبهم كلمة الله هنا، وعينهما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤)، ومثال الإبهام في اسم جمع قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ {٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٢٦} وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ {٢٧} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ {٢٨}﴾^(٥)، فالقوم اسم جمع وقد أبهمه هنا، وفي آية الأعراف كذلك وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٦)، ولكن النظم الجليل عين المبهم في الآيتين السابقتين في سورة الشعراء فالقوم هم بنو إسرائيل قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ {٥٧} وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٥٨} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {٥٩}﴾^(٧)، ومثال الإبهام في صلة الموصول قوله تعالى: ﴿وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾^(٨)، فقد أبهم هنا ما أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه وأبداه الله تعالى، لكنه أشار إلى أن المقصود به زواجه ﷺ زينب بنت جحش

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٢٨ - ٢٥.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٥٩ - ٥٧.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

حيث أوحى إليه ذلك، وهي تحت زيد بن حارثة رضي الله عنهم، لأن زواجه ﷺ إياها هو الذي أبداه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (١)، هذا هو التحقيق اللائق بالآية الكريمة من جهة، ومن جهة ثانية هو اللائق بمقام الرسول الكريم ﷺ، وبه يعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين (٢) من كون الذي أخفاه الرسول الكريم ﷺ في نفسه، وأبداه الله تعالى هو وقوع زينب في قلبه ومحبة لها، وهي تحت زيد لا صحة له، والدليل عليه أن الله تعالى لم يبد شيئاً من ذلك، مع أنه سبحانه صرح بأنه مبدي ما أخفاه رسوله ﷺ في نفسه، قال الشنقيطي رحمه الله تعالى والدليل على هذا أمران:

الأول: أن الله تعالى لم يبد شيئاً من ذلك، مع أنه سبحانه صرح بأنه مبدي ما أخفاه رسوله ﷺ في نفسه.

الثاني: أن الله تعالى قد صرح في الآية الكريمة أنه جل شأنه هو الذي زوج رسوله ﷺ من زينب، وأنه لم يكن له اختيار في هذا الزواج (٣).

قال الخازن رحمه الله تعالى: "فصل فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية، وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي ﷺ عندما رآها، وإرادته طلاق زيد لها، فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه ﷺ من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا، قلت: هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله، وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد لمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م، ج: ١٩، ص ١١٧ - ١١٤.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج: ٦، ص ٦٤٢ - ٦٤١.

كان النساء يحتجن منه ﷺ وهو زوجها لزيد، فلا يشك في تنزيه النبي ﷺ عن أن يأمر زيدا بإمسакها، وهو يحب تطليقه إياها ذكر عن جماعة من المفسرين^(١).

ومثال الإبهام في معنى الحرف قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، فإن حرف الجر ﴿مِنْ﴾ يفيد التبعض، والتبعض الشائع في المال يفيد الإبهام، وقد عين هذا المبهم في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، فالعفو من المال هو الزائد عن الحاجة الضرورية^(٤).

المطلب الثالث: أسباب المبهمات في ضوء القرآن الكريم

ذكر الإمام السيوطي في كتابه مفحمت الأقران في مبهمات القرآن

سبعة أسباب للإبهام في القرآن الكريم، وهذه الأسباب هي:

الأول: الاستغناء ببيان المبهم في موضع آخر، كقوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ {٦} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ^(٥)، فقد أبهم الذين أنعم عليهم هنا، وعينهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٦).

الثاني: أن يتعين المبهم لاشتهاره، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

(١) الخازن، أبو الحسن علي بن محمد. لباب التأويل في معاني التنزيل، ج: ٥، ص ١٩٥. موقع التفاسير:

<http://www.altafsir.com>

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٤) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج: ١، ص ١٦ - ١٣. بتصرف

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧ - ٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ٦٩.

الظَّالِمِينَ»^(١)، ولم يقل حواء، لأنه ليس له غيرها، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(٢)، والمراد نمرود، لشهرة ذلك، لأنه مرسل إليه من قبل، وإنما ذكر فرعون في القرآن بصريح أسمه دون نمرود، لأن فرعون كان أذكى منه، كما يؤخذ من أجوبته لموسى، ونمرود كان بليداً، ولهذا قال: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن الآخر، وذلك غاية البلادة.

الثالث: قصد الستر على المبهم، ليكون أبلغ في استعطافه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٣)، وقيل: هو الأخنس بن شريق، قد أسلم بعد وحسن إسلامه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾^(٤).

الرابع: أن لا يكون في تعيين المبهم كبير الفائدة، نحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى حَتِّهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

الخامس: التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف لو عين، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

السادس: تعظيم المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْكَافِرِينَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٤)، والمراد الصديق في الكل.

السابع: تحقير المبهم بالوصف الناقص، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٥) والله سبحانه أعلم^(٦).

ويرى الباحث أن هناك أسبابا للإبهام لم يذكرها الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى نبه عليه المفسرون في المجال التطبيقي للمبهمات في الدرس التفسيري ومنها:

أولاً: التشويق للمبهم وهو ما سماه أبو حيان بحسن الإبهام كما في قوله تعالى: ﴿الْم {١} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ {٢} نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ {٣} مِنْ قَبْلُ هُذًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الكوثر، الآية: ٣.

(٦) السيوطي، أبو بكر جال الدين بن أبي عبد الرحمن، مفحات الأقران في علوم القرآن، ج: ١،

ص ١. موقع الوراق:

بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾^(١) "وتضمنت هذه الآيات من ضروب الفصاحة، حسن الإبهام، وهو فيما افتتحت به، لينبه الفكر إلى النظر فيما بعده من الكلام"^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ {٣٦} {أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} {٣٧} ﴿٣﴾، قال أبو حيان: "وأبهم أولاً الأسباب، ثم أبدل منها ما أوضحها، والإيضاح بعد الإبهام يفيد تفخيم الشيء، إذ في الإبهام تشويق للمراد، وتعجب من المقصود، ثم بالتوضيح يحصل المقصود ويتعين"^(٤)

ثانياً: التخويف للمبهم وهو ما قرره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٥) "﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ناصبه محذوف تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، فترك ليبقى على الإبهام الذي هو أدخل في التخويف"^(٦)

ثالثاً: الترغيب، وهذا نص على الإمام الزركشي رحمه الله تعالى: " تنبيهات الأول: قد يكون للشخص اسمان فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكته فمفه قوله

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤ - ١.

(٢) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د زكريا عبد المجيد المنوفي، د. أحمد النجولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ج: ٢، ص ٤٠٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٣٧ - ٣٦.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ج: ٧، ص ٤٤٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٢.

(٦) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ج: ٢، ص ٣٣٢.

تعالى في مخاطبة الكتابيين: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾^(١)، ولم يذكروا في القرآن إلا بهذا دون يا بنى يعقوب، وسره أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتبليها من غفلتهم سمو بالاسم الذى فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل، ولهذا لما دعا النبي ﷺ قوما إلى الإسلام يقال لهم بنو عبد الله قال: يا بنى عبد الله إن الله قد حسن اسم أبيكم يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمه من العبودية، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشير به قال يعقوب، وكان أولى من إسرائيل لأنها موهبة تعقب أخرى وبشرى عقب بها بشرى فقال تعالى: وَأَمْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ^(٢)، وإن كان اسم يعقوب عبرانيا لكن لفظه موافق للعربي من العقب، والتعقيب فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين عمرو فإنه من العجائب^(٣).

رابعا: الاستحياء من ذكر الحرائر بأسمائهن جريا على دأب العرب في ذلك: يقول الإمام الزركشي رحمه الله تعالى: "الثالث قيل لم يذكر الله تعالى امرأة في القرآن وسماها باسمها إلا مريم بنت عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال: إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يبتذلون أسمائهم يكونون عن الزوجة بالعرس، والعيال، والأهل ونحوه، فإذا ذكروا الإماء لم يكونوا عنهن ولم يصونوا أسمائهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في مريم، وفى ابنها ما قالت صرح الله تعالى باسمها، ولم يكن عنها تأكيداً لأمر العبودية التى هي صفة لها، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها، ومع هذا فإن عيسى لا أب له واعتقاد هذا واجب فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفى الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٧١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ج: ١، ص: ١٦١ - ١٦٠.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ج: ١، ص: ١٦٣.

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية لأغراض المبهمات في سورة الكهف

وفيه مطالب:

المطلب الأول: وقفات مع سورة الكهف

سورة الكهف تمثل القرآن المكي تمثيلاً واضحاً، إنها تعرض العقيدة ناصعة في ميدان القصة القرآنية، فقد تناولت سورة الكهف خمس قصص هي:

الأولى: قصة أصحاب الكهف، وقد حذرت من الفتنة في الدين.

الثانية: قصة أصحاب الجنتين، وقد حذرت من الفتنة في المال.

الثالثة: قصة آدم وإبليس، وقد حذرت من الفتنة بسبب الكبر والحسد.

الرابعة: قصة موسى مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام وقد حذرت من الفتنة بسبب العلم.

الخامسة: قصة ذي القرنين، وقد حذرت من الفتنة في الملك والسلطة.

وقد آثرت التطبيق على سورة الكهف لكثرة أسلوب الإبهام في القصص القرآني، وقد تميزت سورة الكهف بالطابع القصصي، وسأقف مع السورة الكريمة وفتن هما:

الوقف الأول: اسمها سورة الكهف، وقد سماها رسول الله ﷺ في قوله من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ غُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)^(١)، وسميت سورة الكهف لذكر قصة أصحاب الكهف العجيبة فيها، والذي يبدو للباحث أن سبب تسمية السورة بهذا الاسم لم يكن لمجرد ورود كلمة الكهف فيها فقط، وإنما لذلك لبعد آخر يكمن في كون قصة أصحاب الكهف ركزت

(١) مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة

المصرية بالأزهر، إدارة محمد محمد عبد اللطيف، القاهرة، مصر، ط ١، ١٣٤٧ هـ،

١٩٢٩م، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج: ٦، ص: ٩٢.

على القضية العقدية المحورية التي أنكرها العرب وهي النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون بين مقر ومنكر، إنها قضية البعث بعد الموت.

الوقف الثانية: سورة الكهف مكية إجماعاً، بل هي من أوائل السور المكية نزولاً يشهد لذلك قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: (قَالَ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ إِنَّهُمْ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ، وَهُمْ مِنْ تِلَادِي) ^(١)، وعدد آياتها: عند المدنيين والمكيين مائة وخمس آيات، وعند الشاميين مائة وست، وعند الكوفيين مائة وعشر آيات، وعند البصريين مائة وإحدى عشرة آية ^(٢)، وغرضها يدور في فلك مقاصد السور المكية، ومجالها ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية الصافية، من إثبات حقيقة التوحيد الكاملة، وإثبات حقيقة القرآن الكريم، والبعث الآخر، والتنويه بشأن الرسول ﷺ وبكل هذه الموضوعات ختمت سورة الإسراء.

المطلب الثاني: المبهمات في قصة أصحاب الكهف والتعقيب عليها

سأعرض أولاً في هذا المطلب جدولاً يعرض للآيات التي وقع فيها أسلوب الإبهام في سورة الكهف، ثم أتناول ثانياً هذه الآيات حسب ترتيبها المصحفي مبيناً لأغراض الإبهام في هذه الآيات وأسرارها، وذلك فيما يأتي:

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة بني إسرائيل، رقم الحديث (٤٧٠٨)، ج: ٣، ص: ٢٤٩. ومعنى من تلاميذ من أول ما أخذته من القرآن الكريم في مكة المكرمة، والمال التالذ هو المال القديم ويقابله المال الطارف أي الطارئ.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه، الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ج: ٢، ص ٢٤١.

أولاً: جدول يبين الآيات التي وقع فيها أسلوب الإيهام في سورة الكهف

الرقم	الشاهد من الآية الكريمة	المفردة	السورة	الآية
١-	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾	أَصْحَابَ الْكَهْفِ	الكهف	٩
٢-	﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَّامًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾	وَكَلْبُهُمْ	الكهف	١٨
٣-	﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾	أَحَدَكُمْ، الْمَدِينَةِ	الكهف	١٩
٤-	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	سَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ	الكهف	٢٢
٥-	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا	الكهف	٢٨

٣٢	الكهف	مَثَلًا لِّرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا	﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴾	٦-
٥٠	الكهف	أَفَتَتَّخِذُونَهُ، وَذُرِّيَّتَهُ	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾	٧-
٦٠	الكهف	لِفَتَاهُ، مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أُبْلَغَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾	٨-
٦٥	الكهف	عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا، وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا	﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾	٩-
٧٤	الكهف	لَقِيَا غُلَامًا	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا ﴾	١٠-
٧٧	الكهف	أَهْلَ قَرْيَةٍ	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾	١١-
٧٩	الكهف	مَلِكٌ	﴿ أَمَّا السَّقِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾	١٢-

١٣-	﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ	الكهف	٨٠
١٤-	﴿فَارْتَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾	فَارْتَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا، خَيْرًا مِنْهُ	الكهف	٨١
١٥-	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾	لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا	الكهف	٨٢
١٦-	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾	مَغْرِبَ الشَّمْسِ، عِنْدَهَا قَوْمًا، قُلْنَا	الكهف	٨٦
١٧-	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِنْرًا﴾	مَطْلِعَ الشَّمْسِ، عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِنْرًا	الكهف	٩٠
١٨-	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾	بَيْنَ السَّدَّيْنِ	الكهف	٩٣

من خلال النظر في الجدول السابق نلاحظ الأمور الآتية:

أولاً: وردت المبهمات في السياق القرآني لسورة الكهف تسع وخمسين مرة، في ثمانين عشر آية، وقد وجدت هذه المبهمات قد ذكر معظمها في قصص السورة الكريم حيث بلغ المواضع المبهمة في تلك القصص خمسا وخمسين موضعاً، في حين ورد

أسلوب الإبهام في أربعة مواضع في الآيات التي جاء تعقيباً على قصة أصحاب الكهف، الأمر الذي يؤكد كثرة أسلوب الإبهام في القصص القرآني.

ثانياً: جاء أسلوب الإبهام في سورة الكهف على ثلاثة أشكال هي: الإبهام في الاسم وينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم جمع، واسم مثنى، واسم مفرد، والإبهام في الضمير وينقسم إلى قسمين: ضمير جمع، وضمير مفرد، والإبهام في صلة الموصول، وهذه الأشكال الثلاثة كما يأتي:

الشكل الأول: الاسم الجمع، واسم مثنى، والمفرد، ورد الاسم الجمع، والمثنى، والمفرد مبهماً في سورة الكهف على النحو الآتي:

جاء الاسم الجمع في سورة الكهف مبهماً أربع مرات في مواضع هي: (أَصْحَابُ الْكَهْفِ)، (قَلِيلٌ)، (أَهْلَ قَرْيَةٍ)، (عِبَادِنَا).

وجاء الاسم المثنى في سورة الكهف مبهماً ست مرات في مواضع هي: (مَثَلًا رَّجُلَيْنِ)، (الْبَحْرَيْنِ)، (لَقِيَا غُلَامًا)، (لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ)، (السَّدَّيْنِ).

وجاء الاسم المفرد في سورة الكهف مبهماً تسع عشرة مرة في مواضع هي: (الْكَهْفِ)، (أَحَدُكُمْ)، (الْمَدِينَةِ)، (وَكَلْبُهُمْ)، (لِلْأَحَدِهِمَا)، (وَذُرِّيَّتُهُ)، (مَجْمَعٌ)، (عَبْدًا)، (رَحْمَةً)، (عِلْمًا)، (غُلَامًا)، (قَرْيَةٍ)، (مَلِكٌ)، (مَغْرِبٌ)، (قَوْمًا)، (قَوْمٌ)، (مَغْرِبٌ)، (قَوْمًا). (مَطْلَعٌ).

الشكل الثاني: الضمير الجمع، والضمير المفرد، ورد الضمير الجمع، والضمير المفرد مبهماً في سورة الكهف على النحو الآتي:

جاء الضمير الجمع في سورة الكهف مبهماً ست عشرة مرة في مواضع هي: (وَكَلْبُهُمْ)، (سَيَقُولُونَ)، (وَيَقُولُونَ)، (وَيَقُولُونَ)، (يَعْلَمُهُمْ)، (أَغْفَلْنَا)، (ذَكَرْنَا)، (جَعَلْنَا)، (عِبَادِنَا)، (أَتَيْنَاهُ)، (عِنْدَنَا)، (وَعَلَّمْنَاهُ)، (لَدُنَّا)، (أَتَيْنَاهُ)، (فَارَدْنَا)، (قُلْنَا).

وجاء الضمير المفرد في سورة الكهف مبهما عشر مرات في مواضع هي:
(قَلْبُهُ)، (وَذُرِّيَّتُهُ)، (لِفَتَاةٍ)، (أَتَيْنَاهُ)، (وَعَلَّمْنَاهُ)، (أَبَوَاهُ)، (مَنْهُ)، (تَحْتَهُ)، (عِنْدَهَا)،
(ذُونَهَا).

الشكل الثالث: والإبهام في صلة الموصول الجمع والمفرد، ورد الإبهام في جملة
صلة الموصول الجمع، والمفرد مبهما في سورة الكهف على النحو الآتي:

جاء الإبهام في جملة صلة الموصول الجمع في سورة الكهف مبهما في موضع
واحد هو: (مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ).

وجاء الإبهام في جملة صلة الموصول المفرد في سورة الكهف مبهما في موضع
واحد كذلك هو: (وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْلَقْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا).

ثانياً: الأغراض البيانية لأسلوب الإبهام في قصة أصحاب الكهف والتعقيب
عليها

تنوعت الأسرار الفنية والرسائل الفكرية التي جاء أسلوب الإبهام في قصة
أصحاب الكهف والتعقيب عليها لإرسائها، وهذه الأغراض هي:

الأول: أن لا يكون في تعيين المبهم كبير الفائدة، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَنَحْسَبُهُمْ آيَاتًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِئْتُمْ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ
مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ
وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي

(١) سورة الكهف، الآية: ٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٩.

أَعْلَمَ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا^(١)، فالهدف الرئيس من قصة أصحاب الكهف هو إثبات صدق الرسول محمد ﷺ في إجابته لسؤال كفار مكة أولا، وثانيا تقريب للقضية العقدية المركزية، وهي قضية البعث بعد الموت، أما الدخول في تفصيل عدد أصحاب الكهف، ومكان الكهف المذكور، ونوع الكلب المرافق لهم وصفته فمما لا يعتني القرآن الكريم بالفصل فيه، فخط السير في القصص القرآني هو الوقوف مع وجوه الأحداث بعيدا عن التوغل في الجزئيات، وهذا مجال إبداع أسلوب الإبهام.

قال ابن كثير رحمه الله: "ولم يخبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف، ولا في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا.. والله أعلم بأي: بلاد الله هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه.. فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه"^(٢)، وقال رحمه الله أيضا بعد أن عرض لبعض الأقوال عن كلب أصحاب الكهف ولونه: "واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه؛ فإن مستندها رجم بالغيب"^(٣)، وقال رحمه الله في موضع آخر: "وقد ذكر كثير من القصص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبرا طويلا أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب ومما لا فائدة فيه كاختلافهم في اسمه ولونه، وأما اختلاف العلماء في محلة هذا الكهف فقال كثيرون: هو بأرض أيلة، وقيل بأرض نينوى، وقيل بالبلقاء، وقيل ببلاد الروم، وهو أشبه، والله أعلم، ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمرهم ووصف حالهم حتى كأن السامع راء، والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف، وتقبلهم من جنب إلى جنب، وأن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد"^(٤).

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج: ٩، ص ١١٤ - ١١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج: ٩، ص ١١٧. انظر في ظلال القرآن، ج: ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج: ٩، ص ١١٧.

الثاني: التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف لو عين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١).

فقد أخرج مسلم من حديث سَعْدٍ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا، وَأَبْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هَذِيلَ، وَبِلَالٍ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أَسْمِيَهُمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٢).

وهذا العموم مستقى من القاعدة القرآنية المستقرة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وسبب النزول داخل في الآية دخولا أوليا قطعاً.

الثالث: تعظيم المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، ولذلك في الآية تساق في فضائل السابقين من المهاجرين كما في حديث مسلم الأنف الذكر، الذي بوبه الإمام النووي رحمه الله تعالى في فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "والتعبير عنهم بالموصول للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم، أي: لأنهم أحرىاء بذلك لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة"^(٤).

(١) البداية والنهاية، ج: ٢، ص ٥٦٧ - ٥٦٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج: ١٥، ص: ١٨٨ - ١٨٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ١٥، ص ٣٠٥.

الرابع: تحقير المبهم بالوصف الناقص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١)، وهذا التحقير مستفاد من الإبهام الوارد في جملة الصلاة، وما بعدها من كون أمر الكافر المختوم على قلبه لا نتيجة له في الآخرة، قال أبو السعود رحمه الله تعالى: "وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته، وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد"^(٢).

المطلب الثالث: المبهمات في قصة أصحاب الجنتين

جاء أسلوب الإبهام في قصة أصحاب الجنتين لأداء غرضين بلاغيين هما:

الأول: التنبيه على العموم، وأنه غير خاص، بخلاف لو عين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾^(٣).

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "فإنه بعد أن بين لهم ما أعد لأهل الشرك وذكر ما يقابله مما أعد للذين آمنوا ضرب مثلاً لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر، فكان لذلك المثل شبه بمثل قصة أصحاب الكهف من عصر أقرب لعلم المخاطبين من عصر أهل الكهف، فضرب مثلاً للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجباً مؤثراً، وحال الآخر بخلاف ذلك؛ فكانت عاقبة صاحب الحال الموثقة تباباً وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحاً، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر. ج: ٤، ص ١٤٠ - ١٣٩. الألويسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن شكري البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٣، ص ٥١٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٢.

يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسُنَنِ الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضاً للصالح والنجاح^(١).

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى: "ثم تجيء قصة الرجلين والجنيتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعترزة بزينة الحياة، والنفس المعترزة بالله . وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس : صاحب الجنيتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة . ويحسب هذه النعمة خالدة لا تنفَى، فلن تخذله القوة ولا الجاه . وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعترز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم . موجبة لحمده وذكره، لا لجحود وكفره"^(٢).

الثاني: تحقير المبهم بالوصف الناقص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾^(٣)، حيث أبهمه في سياق الإنكار عليه كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾^(٤).

المطلب الرابع: المبهمات في قصة آدم وإبليس

جاء أسلوب الإبهام في قصة آدم وإبليس لأداء غرض بلاغي هو:

الأول: تحقير المبهم بالوصف الناقص، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٥)، حيث أبهم الله تعالى إبليس وذريته تحقيراً لهم، وتوهيناً لشأنهم، والقرينة على هذا الغرض البلاغي مجيئ الإبهام

(١) التحرير والتتوير، ج: ١٥، ص ٣١٥.

(٢) في ظلال القرآن، ج: ٤، ص ٢٢٧٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

في سياق الذم والإنكار على إبليس في فسقه عن أمر ربه سبحانه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام كما يدل عليه قوله تعالى في فاصلة الآية الكريمة عنها: ﴿يَسْأَلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

المطلب الخامس: المبهمات في قصة موسى مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام.

تنوعت الأسرار الفنية والرسائل الفكرية التي جاء أسلوب الإبهام في قصة موسى مع العبد الصالح عليهما الصلاة والسلام لإرسائها، وهذه الأغراض هي:

الأول: تعظيم المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٤).

فالإبهام في هذه المواضع لغرض التعظيم يشهد لذلك إتيانها في سياق الامتتان، فقد عظم سبحانه وتعالى فتى موسى عليه الصلاة والسلام لصلاحه، وعظم جل شأنه العبد الصالح وهو الخضر عليه الصلاة والسلام بالتكثير مرة، وشرفه ثانية بإضافة إلى ضمير التعظيم، وثالثة بتخصيصه بالرحمة العجيبة المنكرة لتذهب النفس فيها كل مذهب، ورابعة بتخصيصه بالعلم اللدني وهو علم الغيوب الذي أراد الله تعالى اطلاع كليمه عليه، وقد عظم تبارك شأنه ما أبدله سبحانه للوالدين المؤمنين مكان ابنهما

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

الفاجر، كما عظم عز وجهه الغلامين اليتيمين وأبوهما بسبب الصلاح، ولذلك حفظ لهما الكنز المعظم.

الثاني: أن لا يكون في تعيين المبهم كبير الفائدة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَاتِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(١)، وهذا كثير فيما يتعلق بالأماكن أو الأزمان التي كانت ظرفاً للقصص القرآني.

الثالث: الرحمة بالمبهم ولذلك يذكر بالوصف الكامل دون الاسم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٣)، فالمدار في خرق السفينة أصالة أنها كانت لمساكين، والوصف بالمسكنة يستدعي المعاملة بالرحمة، لا سيما مع وجود ملك ظالم يغتصب أموال الضعفاء جهاراً، كما أن الوصف بالإيمان لأبوين كبيرين سناً مع وجود ولد جبار فاجر يوشك أن يحملهما على الكفر والطغيان يستدعي المعاملة بالرحمة، ولذلك استحق القتل في حكم الله تعالى فسلط عليه عبده الصالح فقتله.

الرابع: تحقير المبهم بالوصف الناقص، ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾^(٤)، وهذا التحقير مستفاد من الإبهام الوارد في الاسم، وقد عين ربي سبحانه وتعالى سبب هذا التحقير بما سيؤول إليه مصير هذا الغلام في كبره من الكفر والطغيان، ولذلك استحق القتل.

الخامس: قصد الستر على المبهم، ليكون أبلغ في استعطافه، أو استعطاف من هم على شاكلته ومنه قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧٤.

أجزاء^(١)، وهذه من دأب القرآن الكريم، فإن الله تعالى حيي كريم يكني، فغض البيان القرآني الطرف عن التصريح باسم هذه القرية اللثام أهلها طويا للرديلة، ونشرا للفضيلة.

المطلب السادس: المبهمات في قصة ذي القرنين

تنوعت الأسرار الفنية والرسائل الفكرية التي جاء أسلوب الإبهام في قصة ذي القرنين لبيانها، وهذه الأغراض هي:

الأول: أن لا يكون في تعيين المبهم كبير الفائدة، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾^(٢)، وهذا شائع فيما يتعلق بالأماكن أو الأزمان التي كانت ظرفا للقصاص القرآني.

الثاني: تعظيم المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾^(٣)، فقد عظم حاشية ذي القرنين الذين أشاروا عليه بمعاملة القوم بميزان العدل.

الثالث: الرحمة بالمبهم ولذلك يذكر بالوصف الكامل دون الاسم، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾^(٥)، ففي وصف القومين بالأوصاف المذكورة ما يهيج في نفس

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٩٣.

الصالحين الدواعي لتقديم أيدي العون والمساعدة، كما في قصة ذي القرنين وما أقامة من الردم المكين^(١).

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتم علي نعمته بتمام هذا البحث، لأقف من خلاله على موضوع هو غاية في الدقة لمعرفة نوع جليل من علوم القرآن الكريم، وعو علم مبهمات القرآن، وما خرجت إليه من أغراض بلاغية كشفت عنها الدراسة التحليلية لسورة الكهف، ويحسن بي وقد انتهيت من هذه الدراسة أن أذكر أهم نتائجها.

وقد تمخضت الدراسة عن النتائج الآتية:

أولاً: علم مبهمات القرآن من العلوم الجليلة التي عني بها سلف الأمة، وألفوا فيها الأسفار النافعة، وذلك لنفاضة هذا الفن عندهم.

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج: ١١، ص ٦٣. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق، الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق الحناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ج: ٣، ص ٥٤٤. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه، الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج: ٣، ص ٥٤٣. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم لتفسير، دراسة حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، وضع فهرسه وشارك في تخريج أحاديثه، لجنة البحث والتحقيق العلمي بدار الوفاء بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر، ج: ٣، ص ٤٣٢ - ٤٣١.

ثانياً: تصب ظاهرة الإبهام في القرآن الكريم في لب البلاغة العربية الأصيلة، وهو الإيجاز الذي يعد سمة العربية الواضحة، فخير الكلام عند العرب ما قل ودل ولم يمل.

ثالثاً: المجال المفضل لظاهرة الإبهام في القرآن الكريم هو المجال القصصي، ولذلك وقع اختيار الباحث على سورة الكهف التي ذكرت خمس قصص قرآنية بديعة.

رابعاً: الهدف الرئيس من قصة أصحاب الكهف هو إثبات صدق الرسول محمد ﷺ في إجابته لسؤال كفار مكة أولاً، وثانياً تقريب للقضية العقدية المركزية، وهي قضية البعث بعد الموت، أما الدخول في تفصيل عدد أصحاب الكهف، ومكان الكهف المذكور، ونوع الكلب المرافق لهم وصفته فمما لا يعتني القرآن الكريم بالفصل فيه، فخط السير في القصص القرآني هو الوقوف مع وجوه الأحداث بعيداً عن التوغل في الجزئيات.

خامساً: كثرت المجملات في القرآن الكريم بسبب الإبهام، الواقع بسبب اسم الجنس جمع، أو مفرد، أو اسم جمع، أو صلة موصول، أو معنى حرف جر.

سادساً: الأغراض البلاغية التي يرمي إليها أسلوب الإبهام هي: الاستغناء ببيان المبهم في موضع آخر، وتعين المبهم لاشتهاره، وقصد الستر على المبهم، والتنبيه على العموم وعدم الاختصاص بالمبهم، وتعظيم المبهم بالوصف الكامل دون الاسم، وتحقير المبهم بالوصف الناقص، والتشويق للمبهم، والرحمة بالمبهم.

سابعاً: هناك أغراض بيانية لأسلوب الإبهام لم يذكرها السيوطي مثل التشويق للمبهم، والتخويف من المبهم، والاستحياء من المبهم.

ثامناً: وردت المبهمات في السياق القرآني لسورة الكهف تسع وخمسين مرة، في ثماني عشر آية، وقد وجدت هذه المبهمات قد ذكر معظمها في قصص السورة الكريم حيث بلغ المواضع المبهمة في تلك القصص خمسا وخمسين موضعاً، في حين ورد أسلوب الإبهام في أربعة مواضع في الآيات التي جاء تعقيباً على قصة أصحاب الكهف، الأمر الذي يؤكد كثرة أسلوب الإبهام في القصص القرآني.

تاسعاً: توصل البحث إلى تميز أسلوب الإيهام بتنشيط الفاعلية الإدراكية، وتداعي المعاني المعاكسة، وتوسع ملكة المقارنة والاستنتاج، ويوقظ الإحساس، ويؤجج العاطفة، ويستفز الشعور من خلال تسليط الضوء على المعاني المحتملات للفظ المبهم.

هذا ما تيسر جمعه والدلالة عليه، وبالله تعالى التوفيق، وأسأله سبحانه حُسنَ القبول، وحُسنَ الختام، وآخرُ دعوايَ أن الحمد لله ربَّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* *

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١. الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن شكري البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، قام بشرحه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجعه قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ.
٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه، الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.
٤. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه، الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٥. الثعالبي، أبو منصور، الإعجاز والإيجاز، شرحه وطبعه إسكندر آصاف، المطبعة العمومية، مصر، ط ١، ١٨٦٧م.
٦. ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
٧. الجويني، أبو المعالي إمام الحرمين عبد الملك عبد الله، البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهرسه الدكتور عبد العظيم الديب، طبع على نفقة صاحب السمو خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر، ط ١، ١٣٩٩هـ.
٨. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د زكريا عبد المجيد المنوفي، د أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٩. الرازي، محمد بن عمر فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٠. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تم التحقيق والإعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١١. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط، قام بتحريه عبد القادر عبد الله العاني، وراجع د عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
١٢. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، د فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
١٤. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١٥. السهيلي، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي المالقي، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، باعتناء الشيخ محمود ربيع، طبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
١٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، الأمانة العامة للشؤون العلمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.
١٧. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل مؤسسة سلمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

١٨. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم لتفسير، دراسة حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة، وضع فهرسه وشارك في تخريج أحاديثه، لجنة البحث والتحقيق العلمي بدار الوفاء بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

١٩. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

٢٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق، الرحالة الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي الصادق الحناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط ٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٢١. الفيروزآبادي، أبو الحسين أحمد بن زكريا، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

٢٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج: ١١، ص ٦٣.

٢٣. قطب، سيد إبراهيم. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، ٢٠٠٤م.

٢٤. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، السعودية، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو القرشي. تفسير القرآن العظيم، أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية، وعلى نسخة كاملة بدار الكتب المصرية، تحقيق مصطفى السيد أحمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٦. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق د عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٧. المجمع اللغوي، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات إحياء التراث، مكتب الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٨. مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، إدارة محمد محمد عبد اللطيف، القاهرة، مصر، ط ١، ١٣٤٧ هـ، ١٩٢٩ م،
المواقع الالكترونية:

١. الخازن، أبو الحسن علي بن محمد،. لباب التأويل في معاني التنزيل، موقع التفاسير:

<http://www.altafsir.com>

السكاكي، أبو يعقوب الحسين بن محمد ،. مفتاح العلوم، ج: ١، ص ٧٨. موقع الوراق:

<http://www.alwarraq.com>

٢. السيوطي، أبو بكر جلال الدين بن أبي عبد الرحمن،. مفحمت الأقران في علوم القرآن، موقع الوراق:

<http://www.alwarraq.com>

* * *